مواضيع مختلفة عن الدبلوماسية

**الدبلوماسية المعاصرة**

تتجلى اهم ميزة للدبلوماسية المعاصرة هو التغير الذي طرأ على مهام الدبلوماسية.

* أي تحول الدبلوماسيون الى العمل في إدارة العولمة (managers of globalization) ـي أنهم موجهون لإدارة نزع السلاح، مكافحة الإرهاب الدولي والتطرف، الجريمة والمخدرات، حماية حقوق الانسان، الوقاية من تغير المناخ والتصحر، ترويج أو إشاعة التنمية المستدامة، الوقاية من الصراعات، حفظ وتعزيز السلام، قضايا التجارة الخارجية،...
* وأيضا من حيث أفول عمل السرية الذي كان يطغى على العمل الدبلوماسي مع الحفاظ على وجوده في بعض القضايا. أي فيما كانت السرية من أهم صفات ميزات الدبلوماسية القديمة، الآن أصبحت السياسة الخارجية شأن عام ومعرضة للاستفساء العام والانتقاد. وأيضا ما كان يعتبر السياسة الدنيا أضحى جزء مهم من العمل الدوري لمفوض السياسة الخارجية (foreign policy agent).

**غياب نظرية العلاقات الدولية (الممارسة) في الدبلوماسية**

رجح معظم مختصي الدبلوماسية أن التصورات النظرية في الدبلوماسية من خلال رسم خريطة تطور لما يمكن أن يكون نظرية الدبلوماسية في العلاقات الدولية، تفضي الى غياب نظرية العلاقات الدولية للدبلوماسية لأسباب عدة. كما يطرح تساؤلات حولها ان كانت أداة أم وسيط وارتباطها المعرفي مع دراسة السياسة الخارجية ومهنة الدولة ودورها في إنتاج وتحويل والحفاظ على الأنظمة الدولية. وبناءا عليه، بما أن الدبلوماسية تركز على عاملين رئيسيين في وجودها الحيوي للدولة وهما الجانب العلني والجانب السري، فان هذا الأخير يقوم على قنوات ووسائل رادعة تقوم بها الدولة بدون ان يكون لها أي صفة رسمية تفضي الى بناء نظرية لها. وهذا ما لا نجده ولا يمكن أن يجتمع عليها المجتمع المعرفي حتى يتسنى لهم الإقرار بنظرية. ثم هناك جانب آخر مكمل لما سبقه، وهو تعدد معاني الدبلوماسية تماشيا مع أهداف المعرف لها وبالتالي فهي معاني تحتوي على تعريفات منها إيجابية وهي التصريح بما هي عليه وأخرى سلبية وهو الإقرار بما ليست عليه الدبلوماسية مما يصعب مهمة البناء النظري كما رأينا ذلك. صعوبة بناء النظرية تكمن في القنوات الخلفية للدبلوماسية بحيث لا نجد اجماع علني حول مقاربات ذلك.

 (Elmer Plischke, 1979, 28)

Implied in Plischke’s exploration is an acknowledgement of the subjective and even inter-subjective dimensions of diplomacy and the entangled discourses and worlds that enframe

those who practise diplomacy or are considered capable of being diplomatic in the first

place. The stakes of this search for the meanings of diplomacy are raised when he calls

for us to distinguish diplomacy from ‘other concepts including foreign relations, foreign

policy, various specific aspects of diplomatic practice, individual diplomatic functions

such as negotiation and the like’.

**الدبلوماسية والاستعمار**

هناك أمر آخر مهم للغاية حيث أثر تاريخيا على تعريف الدبلوماسية وتغاضى عن دورها الفعال إبان حقبة الاستعمار. وفي هذا الاطار، يجب الإقرار ان الدبلوماسية تحتاج الى إقامة ’نظرية الممارسة‘ في دراسات الدبلوماسية ومدى وجود ارتباط مع الحوكمة الاستعمارية للدبلوماسية آنفا التي كانت تتعامل نع الأهالي حتى قبل نشوء الدولة (الوستفالية). وبالتالي، يجب الاخذ بعين الاعتبار المسائل المعيارية من باب المعرفة النقدية حول الدبلوماسية. حيث يجب التنويه الى تحول حدود أو التداخل بين الداخلي والدولي وبين النظرية والممارسة ولا يوجد إمكانية الفصل التام بينها.

من جهة أخرى، كانت بدايات العمل وممارسة الدبلوماسية تمزج بين ادعاءات/وجود قضية والتفاوض وحل المشكلة مع مهام التفكير وصياغة مسألة (problematique). وارتبطت وسائل وأهداف الدبلوماسية والنقاشات التاريخية بطموحات معيارية للفواعل الدبلوماسيين. ولكن، في المرحلة المعاصرة ارتبط السبب الجوهري للدبلوماسية بمهنة الدولة من خلال وضع جانبا التراث والوعود الاستثنائية. أي محاولة إخفاء وصمة الاستعمار عنها.

وعليه، يجب أن نهتم كيف ارتبطت الممارسة الدبلوماسية تاريخيا بحوكمة الاستعمار وتهدير السكان الأصليين والأهالي، وهذا يشكل الاهتمام بالجوانب المسألة المعيارية للدبلوماسية. ومن تم يحيلنا الى التساؤل الأول حول تحديد معنى الدبلوماسية المحضة، لا أكثر ولا اقل، لأنها تنبثق من منطق أورومركزي لتعريفها. أما بالنسبة للمستعمَر فهذا يعد منطقيا ضد الدبلوماسية anti-diplomatic. وبالتالي، انبجست البنية الكولونيالية للدبلوماسية من الفكر الغربي وبنية التمثيل التي مارسها في حق الشعوب غير الغربية. كما لا ننسى ان ’الغرب ليس مكان أو جغرافيا وإنما هو مشروع‘ كما جاء في لسان المفكر إدوارد غليسانت (Edouard Glissant, 1992, 2).

‘The West is not in the West, it’s a project, not a place’.

**المنطق الاورومركزي في الدراسات الدبلوماسية والعالم الثالث**

وأصل المشكلة هنا هو الادعاء بتعريف أصلي للدبلوماسية والتي قد تحيلنا الى حالة مَرضِية للدبلوماسية فيما يخص تسميات أخرى للوظائف كـ دبلوماسية القنوات الخلفية backchannel، دبلوماسية المواجهة combat، دبلوماسية الجوسسة والجوسسة المضادة. ويطرح اشكال من حيث انها التفاوض بطرق سلمية حول دورها ابان الاستعمار والتي قد نراها انها معاكسة تماما للدبلوماسية وبالتالي تنطوي على فكر اورومركزي محض وليست عالمية. ولقد حاول بعض المفكرين وحتى الدبولماسيين تبرئة الدبلوماسية القديمة من ممارساتها وعزوا ذلك الى سوء السياسة الخارجية وليس في التفاوض كأصل الدبلوماسية (Harold Nicolson, 1979, 43). ونلاحظ هنا ان هناك تعمد لاخفاء واسقاط الوجه المظلم أو التاريخ السيء للدبلوماسية من أي انتهاكات عنصرية واستعمارية وتفريغها تماما من أي دور لعبت فيه. ولقد كان دورها كبير جدا فيما يخص التعامل المسلح في دبلوماسية القوى الامبريالية آنذاك. وبالتالي فان اسكات أصل الجانب العملي للدبلوماسية الحديثة يطرح تساؤلات حول مصدر المعرفة والحقيقة وأهداف الدبلوماسية ومكانتها في منطق الاستعمار والمستعمِر سابقا، بغض النظر عن ظروف التي يمكن من خلالها اعتبار شعوب مستعمرة كأفراد دبلوماسيين أو لا وما هي معايير ذلك من حيث الانتماء الى أوروبا واختلافهم عنها. كما يطرح تساؤلات عن ذهنية المفاوضات الدبلوماسية ومدى ارتباطها بالعنصرية واشكال أخرى من الانكار لشعوب غير أوروبية في الخطابات والمفاوضات السياسية. وهنا تشكل جانب المغيب والمحذوف في نظام العنف الاستعماري الذي كانت تمارسه أوروبا لحد الآن (Mbembe, 2001 :1; Mignolo, 2001).

ويظهر ذلك جليا من خلال التنصل وانكار عوامل الحداثة والكولونيالية التي نجدها في النصوص الدبلوماسية، بل هناك تعمد لتبرئة الدبلوماسية من كل ممارسات الاورومركزية والكولونيالية والحداثة كما جاء في نصوص مفكرين كبار مثل(1979) Harold Nicholson و(1988) .José Calvet De Magalhaes أما بعض النقاد للنظرية الدبلوماسية مثل Iver Neumann فانه يعترف بوجود ظروف تاريخية مسبقة للدبلوماسية تكشف إقامتها على أساس أساطير مسيحية والاورومركزية (Neumann, 2010: 128) حتى وان استطاعت ان تتكيف لتصبح وسيلة التحرر من الاستعمار نوعا ما محدودة.

الهدف من هذا النقد هو كشف الغطاء عن (تاريخ) الدبلوماسية الحديثة وعلاقتها بالحملة الاستعمارية العنيفة التي شنتها أوروبا على العالم الثالث والتي مازالت تقوم على مبدأ تفوق واستعلاء الغرب وتبعية الباقي له، وهو استمرار كولونيالية الدبلوماسية الحديثة. وهذا ما يعبر عنه (2007: 243-4)Nelson Maldonado-Torres كحالة استمرار أنماط القوة التي أوجدت الاستعمار والتي لم تتعرض للمساءلة الأخلاقية والمعيارية لحد الآن (ٍSam Okoth Opondo, 2016: 41).

حسب المختص Costas Constantinou فان البنية الغربية التي قامت عليها الدبلوماسية نشطت مرتبطة بالسياق الخارجي عن الغرب أي في مستعمراته بحكم أن فكرة الغرب ليست جغرافية، أي انه لا يقع في الغرب، وانما هو مشروع كما يراه Edouard Glissant (Glissant, 1992 : 2) لان هدف الغرب هو امتلاك والحفاظ على هذا الفضاء الميتافيزيقي للتحكم فيه وعليه. ولو أخذنا مثال عن مهنة الدبلوماسية القديمة كما يراها المؤرخون والمختصون مثل (1994) Henry Kissinger عند أب الدبلوماسية Armand-Jean du Plessis (1585-1642) والملقب بـ Richelieu Cardinal لوجدنا الجانب المظلم الذي مورس في حق افريقيا وآسيا باسم مظاهر الحضارة للدولة الحديثة والتي أصبحت محل مساءلة أخلاقية وإنسانية للدبلوماسية. بدأت بتحقيق المصالح الاقتصادية ثم تجاوزت ذلك للجوء الى التمثيل المباشر وانكار الآخر في أي حق من حقوقه لتحويله لتابع مهمش. وهذا كان أهم ميزة للتوسع الكولونيالي التي تميزت به الحقبة الاستعمارية العنيفة (Constantinou et al, 2016: 43). يمكن التحدث عن الحوكمة الدبلوماسية التي لجأت الى التفاوض لتسيير أحسن للمستعمرات. ولا يخفى علينا هنا أن دراسات الدبلوماسية كثيرا ما تلجأ الى تنميق صورة الدبلوماسية من حيث الادعاءات الى القيم العالمية والمهمات التفاوضية اتي كللت بالنجاح مسقطة عنف الاستعمار في حق الشعوب الاخرى الذي مارسه هؤلاء الدبلوماسيون من خلال انتاج الاختلاف والتمييز الثقافي والعرقي (Ndlovu-Gatsheni, 2011; Mbembe, 2001).

يجب التلميح والتأكيد على أن كشف الغطاء عن تاريخ ترابط الدبلوماسية بالمنطق الاستعماري لا يهدف الى شيطنة الدبلوماسية وإنكارها معياريا وأخلاقيا. وانما هو دعوة الى التفكير الى الكولونيالي وما بعد الكولونيالي من منطق النقص التهميش التي حاولت الدبلوماسية ان تغيره وتحوله بدل الاعتراف بوجوده كما هو(Said, 1993). أيضا إعادة النظر الى الدبلوماسية الحديثة وعوامل مأسستها (الكولونالية) لتحفيز وتنشيط دبلوماسية تقوم على التعددية والتمثيل للكل من خلال الاعتراف وتصحيح المخيال الدبلوماسي من أجل ممارسة الدبلوماسية التي تعني بحل الصراعات والمشاكل الناجمة عن الظلم وعدم المساواة والعنف في حق الشعوب التي كانت مستعمرة ومازالت تحت طائلة حسابات المنطق الكولونيالي.